جهود المحدثين في تدوين السيرة النبوية:
دراسة تطبيقية على صحيحي البخاري ومسلم والموطأ

إعداد: أ.د. عبد العزيز بوشعيب العسراوي

تقديم: تتعدد مصادر السيرة النبوية وتتنوع مناهجها، ويأتي في مقدمة هذه المصادر القرآن الكريم، والحديث النبوي المبثوث في كتب السنة رواية، حيث بذل المحدثون جهوداً طيبة في تدوين أحداث السيرة ومختلف وقائعها وروايتها بالأسانيد المرفوعة إلى النبي ﷺ. وقد اختلفت تلك المصادر –أعني كتب السنة رواية– في رواية هذه الوقائع كمًّا وكيفًا مابين مقلٍ ومكثرٍ. ويأتي من حيث الأهمية على قائمة هذه المصنفات الكتب التسعة التي خصصت كتبًا وأبوابًا لرواية وقائع السيرة النبوية سواء منها ما تعلق بما قبل البعثة النبوية أو ما بعد البعثة حيث اشتملت على الحديث عن أنساب العرب، وأوضاع الجاهلية، ونسب النبي ﷺ، ورضاعه، وحادثة شق الصدر، ورعيه الأغنام، وغيرها مما هو قبل نزول الوحي. كما اشتملت على تفاصيل تتعلق بالدعوة النبوية بدءاً من الوحي إلى النبي ﷺ في الغار وقائع التبليغ الأولى، ثم الهجرة إلى الحبشة مروراً بالهجرة إلى المدينة، وذكر مختلف الغزوات إلى تسجيل مختلف وقائع أحداث فتح مكة وحجة الوداع وغيرها، حتى إن بعض هذه الكتب كادت تغطي أحداث السيرة النبوية بالكامل، وهنا تكمن أهمية هذه المصنفات؛ يقول مهدي رزق الله أحمد: "وتتفاوت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين كتاب وآخر، فنجد البخاري مثلاً يهتم بسيرة الرسول ﷺ فيفرد كتباً وأبواباً من جامعه الصحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده ...، إضافة إلى ما هو مبثوت من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح. والمتأمل في حواشي هذا الكتاب يقف على حقيقة هامة حول هذا الكتاب، وهي أن البخاري كاد أن يغطي أبرز أحداث سيرة الرسول ﷺ"[1]. وهذا يعني أننا سنجد المادة الأساسية في صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم إذ لا شك أنه انفرد بأحاديث عن البخاري، ثم في الموطأ والسنن الأربعة التي نجد فيها أحاديث صحيحة وأخرى حسنة يحتج بها، أو ضعيفة تنجبر بتعدد الروايات، وتحتاج إلى جهد حديثي في التخريج. وتكمن أهمية هذه الكتب في أنها دونت لنا ما يتعلق بالسيرة مما رواه علماء السير والمغازي من التابعين وأتباعهم، أمثال عروة بن الزبير بن العوام (94 هـ)، وأَبَان بن عثمان بن عفان (101 أو 105 هـ)، ويُروى أن كتابه كبير وأنه يبرز فضائل الأنصار، وعامر بن شَرَاحيل الشَّعْبي (103 هـ)، وله كتاب المغازي، وعاصم بن عمر بن قَتَادة (119هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (124هـ)، وشُرَحْبيل بن سعد المدني (123هـ)، ويزيد بن هارون الأسدي المدني (103هـ)، وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو

(1)–السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية– الرياض، ط: 1، ص: 17.

ابن حزم (135هـ)، وموسى بن عقبة (140هـ)، ومحمد بن إسحاق(151هـ)[1]، وغيرهم.

وترجع قيمة ما ورد في هذه الكتب إلى "أن مادة السيرة فيها موثقة يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة؛ لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سندًا ومتنًا"[2]؛ بل حتى الموطأ فقد خدمه ابن عبد البر في كتابيه "التمهيد" و"الاستذكار" خدمة جليلة، بينما خدم السنن الأربعة عدد من المحققين والمحدثين قديماً وحديثاً، وقاموا بتخريج أحاديثها والحكم عليها، وفيها أحاديث تحاشى صاحبا الصحيح تخريجها لأنها انحطت عن شرطهما وهي أحاديث مقبولة يجب أو يجوز الاحتجاج بها؛ فللمحدثين منهج يتسم بالضبط والتحري في نقل الوقائع المنسوبة إلى النبي ﷺ، من قول أو عمل، ولذلك فكتبهم تظل تمثل المادة الأساسية للدارسين في مجال السيرة النبوية رغم أن بعض الأحاديث في السنن دخلها بعض الضعف، وقد بذلت -بفضل الله- جهود كثيرة في تمحيص هذه الكتب وبيان صحيحها من حسنها من ضعيفها وموضوعها.

ونظرا لهذه الأهمية التي بينتها أعلاه؛ فإني رأيت أن أقصر بحثي على بيان جهود الشيخين في صحيحيهما ومالك في موطئه في تدوين السيرة النبوية[3]، وتتبع بعض ملامح هذا التدوين وفق خطة مبدئية تتكون من ثلاثة مباحث وخلاصة، أبينها فيما يلي:

المبحث الأول- السيرة النبوية في صحيح البخاري[4]، وتحته مطلبان:

الأول في وقائع السيرة في كتب الصحيح وأبوابه الخاصة بها.

والثاني في وقائع السيرة المبثوثة في غير كتب الصحيح وأبوابه الخاصة بها.

وخصصت المبحث الثاني للحديث عن السيرة النبوية في صحيح مسلم، وتحته مطلبان:

الأول في أبواب السيرة النبوية في صحيح مسلم.

والثاني بعنوان: أحاديث مبثوثة في صحيح مسلم تتعلق بالسيرة.

أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن أحاديث السيرة في موطأ الإمام مالك، وتحته ثلاثة مطالب: الأول في وقائع السيرة في كتب الموطأ وأبوابه، والثاني في وقائع السيرة في أحاديث مبثوثة في أبواب غير مختصة بالسير والمغازي. وكتبت نبذة في مطلب ثالث عن

---

(1)-ينظر: السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم- المدينة، ط: 6، 1415هـ- 1994م، 53/1، وما بعدها.

(2)-ينظر: السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري، 50/1، بتصرف يسير، وينظر: مصادر السيرة النبوية وتقويمها: فاروق حمادة، دار القلم- دمشق، ط: 3، د.ت، ص 55-58.

(3)-سبق للباحث أن خصص للسنن الأربعة بحثًا آخر بعنوان: "جهود أصحاب السنن الأربعة في تدوين السيرة النبوية".

(4)-قدمت الحديث عن صحيح البخاري عن صحيح مسلم والموطأ لأمرين؛ أولهما أن صحيح البخاري أصح من غيره، والثاني أن صحيح البخاري أغنى من غيره في روايات السيرة النبوية.

علماء السيرة ورواتها في الصحيحين والموطأ، ثم خلاصة سجلت بها أهم الأفكار والنتائج الواردة بهذا البحث.

المبحث الأول– السيرة النبوية في صحيح البخاري:

المطلب الأول– وقائع السيرة في كتب الصحيح وأبوابه الخاصة بها:

عُنيت كتبُ الحديث بجمع أقوال الرسولِ ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخَلْقية والخُلُقية. وتناول بعضُها طرفًا من سيرته ومغازيه وسراياه وبعوثه، سواء كانتْ أبوابًا ضمن كتبِهم أو رواياتٍ مبثوثةً في ثنايا كل أبوابِ كتبِهم. وتتفاوت درجةُ الاهتمامِ بأبحاثِ السيرة بين كتابٍ وآخر. وفي مقدمة هذه الكتب صحيح الإمام البخاري الذي اهتم بسيرة الرسولِ ﷺ فأفرد كتباً وأبوابًا من جامعه الصَّحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده، ومغازيه وسراياه وبعوثه، ومكاتباته، وفضائل أصحابه، وزوجاته، بالإضافةِ إلى ما هو مبثوثٌ من أحداث السِّيرة ضمن مرويَّات كتب جامعِهِ الصَّحيح وأبوابه، وهذا يجعلنا نقف على حقيقة مهمة حول هذا الكتابِ، وهي أنَّ البخاريّ كاد أنْ يُغطِّي أبرز أحداث سيرة الرَّسول ﷺ، قال عبد الرزاق هرماس: "وما في صحيح البخاري من مرويات السيرة النبوية الصحيحة، تكفي المسلم، وتفي بحاجته من الاطلاع على حياة الرسول ﷺ والاقتداء به في شؤونه كلها"[1].

ويمكن لي أن أثبت هذه الكتب والأبواب فيما يلي:

1– باب بدء الوحي؛ وضمّنه البخاري الأحاديث الأصول في الوحي إلى الرسول ﷺ، وقد أحسن البخاري –رحمه الله تعالى– إذ بدأ جامعه الصحيح بالحديث عن الوحي إذ هو الأساس في إثبات النبوة، فلا نبوة بدون وحي، فإذا ثبت الوحي ثبتت النبوة، وبإثباتها تصبح الشريعة لزامًا على كل مسلم، ويتبع ذلك الدعوة إلى هذه الشريعة، ولذلك ما فتئ الكفار ينكرون الوحي لإنكار النبوة، وفي تلك الأحاديث – التي رواها البخاري في هذا الباب– معاني كبرى وأحكام مهمة للمسلم، ومنها حديث الوحي المشهور "حديث الغار" الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفي سنده اثنان من علماء السيرة والمغازي، وهما عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري. أما عروة فهو ابن أخت عائشة رضي الله عنهم جميعًا، لازم أم المؤمنين عائشة وتفقه بها، وهو الذي قال: لقد رأيتُني قبل موت عائشة بأربع حجج وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته، كان من علماء المدينة وفقهائها، قال عنه تلميذه الزهري: "رأيت عروة بحراً لا تكدره الدلاء"، ومن بحره علمُه بالمغازي[2]. أما ابن شهاب الزهري

---

(1)–مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين: عبد الرزاق هرماس، بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، ط: 1، 1428 هـ–2008م، ص: 78، وينظر: مصادر السيرة النبوية وتقويمها: فاروق حمادة، ص: 56.

(2)–تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط: 3، 1405هـ–1985م، 423/4 وما بعدها.

-رحمه الله- فهو من صغار التابعين، كان آية في الحفظ، مهتماً بالمغازي، من المكثرين في الحديث، جمع علماً غزيراً، ومنه علمه بالسيرة والمغازي، وهو الذي قال عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته[1].

ومن هذه الأحاديث أيضاً حديث البخاري بسنده عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[2]. وهو حديث يثبت عدداً من المعاني، ومنها صلة النبي ﷺ بأمين الوحي، والطريقة التي ضبط بها النبي ﷺ القرآن الكريم، وصفة مهمة جداً من صفات النبي ﷺ وهي صفة جوده، وكيف أن الجود يزداد ويزكو بعرض القرآن، وأهمية مدارسة القرآن، وما يحدثه في نفوس المؤمنين من تغيير، وغيرها من المعاني التربوية المهمة للمسلمين.

2- كتاب الجهاد والسير؛ وهو كتاب كبير جداً ضم خمساً وتسعين ومائة باب. ومما يجب تسجيله هنا أننا نجد البخاري يروي أحاديث قد لا نجدها في كتب السيرة، وأذكر منها حديثاً في فضل المجاهدين رواه البخاري بسنده عن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها". فقالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة – أراه – فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"[3]، وحديث البخاري بسنده في وصف الحور العين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ: "لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد – يعني سوطه – خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل النار لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"[4].

3- كتاب بدء الخلق، وفيه سبعة عشر بابًا، وعلاقته بالسيرة واضحة ومهمة جداً إذ إن النبوة الخاتمة هي خاتمة لهذا التاريخ النبوي الرسالي الطويل الذي عرف إرسال عدة رسل وظهور عدة أنبياء بدءً من سيدنا آدم عليه السلام، وانتهاءً بسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

---

(1)-تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء 326/5 وما بعدها.

(2)- صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 6.

(3)- صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم الحديث: 2637.

(4)-صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين، رقم الحديث: 2642.

4- كتاب أحاديث الأنبياء؛ وتضمن اثنين وخمسين بابًا أولها باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، وعدد مهم من أبواب هذا الكتاب يغطي ما يتعلق بالأنبياء السابقين من آدم –عليه السلام- ونوح، وإياس، وإدريس، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق وغيرهم عليهم السلام جميعاً، وكان يذكر بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الأنبياء في تراجم الأبواب، وفي ذلك ربط بين القرآن والحديث في توثيق السيرة النبوية ورواية أحداثها ووقائعها.

5- كتاب الخمس؛ وفيه عشرون بابًا ضمّنها أحاديث فيها أحكام تتعلق بالخمس، ولمن تكون الغنيمة؟، وهل تنقص من الأجر؟، وأين مرض النبي ﷺ؟، وبعض ما يتعلق ببيوت النبي ﷺ، وكيف كان يقسم النبي ﷺ الصدقات وما يأتيه من أموال؟، وفيها أحكام أخرى تهم الجهاد وما يترتب عنه من غنائم وسبي تدل على فقه البخاري ودقته في استنباط الأحكام والتنبيه على بعض المعاني الأساسية.

6- أبواب الجزية والموادعة؛ وهي واحد وعشرون بابًا تروي لنا أحاديث فيها أحكام تتعلق بالمشركين واليهود وأهل العهد، وما يصنع بهم من أحكام في المعاملات المختلفة.

7- كتاب المناقب؛ وفيه أربع وعشرون بابًا، وهو كتاب مهم جداً إذ روى فيه البخاري أحاديث تتعلق بمناقب قريش، وبعض القبائل العربية، وصفة إسلام بعض الصحابة، وأسماء النبي ﷺ، وصفته، وخاتم النبوة، ووفاته ﷺ، وعلامات النبوة في الإسلام، وغير ذلك، وهي أبواب مهمة من حيث إنها تلقي الضوء على قضايا أساسية من النبوة الخاتمة –على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم- مثل المعجزات النبوية التي تفيد المسلم فوائد تربوية، قد يكون أهمها زيادة الإيمان ومعرفة قدر النبي ﷺ، والعلم بأطراف من نبوته عليه الصلاة والسلام، وعلاماته التي انفرد بها عن غيره من الأنبياء[1]، ومعرفة فضل الصحابة الذين فضلونا بمشاهدة هذه المعجزات، وهم الذين رووها لنا وتأثروا بها مباشرة بعد عيشها.

8- كتاب فضائل الصحابة، وفيه واحد وثمانون بابًا، وكلها مهمة جدًا تؤرخ أحداثاً كان لها نتائج بعيدة وكبيرة مثل ما كان بالعقبة من بيعة للأنصار رضي الله عنهم، إلا أن أهم ما يمكن أن يؤخذ منه من دروس وعبر هو ما يتعلق بالبعد التربوي في هذه الأحاديث النبوية التي رويت في فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، بالإضافة إلى تلك الأحداث التاريخية المهمة، ومن واجب الدارسين والدعاة النظر في سير الرجال –وخصوصاً منهم الصحابة- لاستنباط الدروس والعبر منها، واستثمارها في الدعوة إلى الله تعالى قصد تربية الناس على أخلاق هؤلاء الفضلاء من جيل الأمة الأول.

(1)- ينظر: فتح الباري، 585/6، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

9- كتاب المغازي؛ وبه اثنان وثمانون باباً منها أبواب كثيرة في الغزوات والسرايا، ومنها أبواب في الوفود التي وفدت على النبي ﷺ، وكتبه إلى الملوك والقياصرة، وحجة أبي بكر رضي الله عنه، وحجة الوداع وغيرها. وأهمية هذا الكتاب بأبوابه كلها واضحة لا تخفى إذ هي تعطي تفاصيل غزوات النبي ﷺ التي ما زالت ولن تزال معدناً صافياً للكثير من الدروس، كما توضح بعض المراحل الأساسية للدعوة في المدينة النبوية بالنسبة للدارسين لهذه المحطات الضرورية في السيرة، خصوصاً أن المغازي خصها العلماء بالاهتمام، وبيان من شارك فيها من الصحابة رضي الله عنهم، واعتنى أصحاب التراجم ببيان الغزوات والمشاهد التي شارك فيها الصحابي المترجم له. وقد روي عن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: "كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ويعدّها علينا، ويقول: "يا بني، هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها"[1]، يربي رحمه الله تعالى عليها أولاده. وعن علي بن الحسين قال: "كنا نعلم مغازي نبي الله ﷺ كما نعلم السورة من القرآن"[2].

10- كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، وفيه أحاديث تتحدث عن سيرة النبي ﷺ مع المحاربين ومع من فعل الفاحشة، ورجمه لمن أتاها وفضل من تركها، وأحكام أهل الذمة، وغير ذلك من الأحكام المهمة، وفيه اثنان وثلاثون باباً.

11- كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، وبه ثمانية أبواب تضمنت أحاديث حول المرتدين والخوارج والمعاندين وسيرة النبي ﷺ في كل هؤلاء.

وهذا كله يوضح مدى احتفال البخاري بوقائع السيرة النبوية وكل ما يتصل بها، وما رواه عن شيوخه ووصل إلى سمعه عنهم وصح عنده ووافق شرطه. وتغطية البخاري هذه لأبواب السيرة وأحداثها وتفاصيل كثيرة فيها وصفها مهدي رزق الله أحمد بقوله: "وتتفاوت درجة الاهتمام بأبحاث السيرة بين كتاب وآخر، فنجد البخاري مثلاً يهتم بسيرة الرسول ﷺ فيفرد كتباً وأبواباً من جامعه الصحيح لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده ...، إضافة إلى ما هو مبثوت من أحداث السيرة ضمن مرويات كتب وأبواب جامعه الصحيح. والمتأمل في حواشي هذا الكتاب يقف على حقيقة هامة حول هذا الكتاب، وهي أن البخاري كاد أن يغطي أبرز أحداث سيرة الرسول ﷺ"[3].

(1)-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي؛ تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، 1403هـ، 195/2.

(2)-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، 229/2.

(3)-السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص: 17.

المطلب الثاني– وقائع السيرة المبثوثة في غير كتب الصحيح وأبوابه الخاصة بها:

كما بوّب البخاري أبواباً ووضع كتبًا خاصة بالسيرة النبوية وهي مادة مهمة جداً، إلا أن ذلك لا يعني أنه لم يروِ بالكتب والأبواب الأخرى ما يدخل ضمن موضوعات السيرة النبوية؛ بل نجد أحاديث أخرى تروي لنا وقائع، وأحداثًا، وسير رجال وفضائل صحابة، وعلامات نبوة خاتم الأنبياء –عليه الصلاة والسلام–، وغير ذلك في أبواب أخرى مما يمثل مادة مهمة لدارس السيرة لا يمكن إغفالها. ومما ساعد على هذا أن نجد من منهج البخاري في صحيحه أن يُقطّع الحديث الواحد ويفرقه في مواطن مختلفة تخدم الباب الفقهي الذي يضع تحته الحديث، ولذلك فمن الطبيعي أن نجد أحاديث تتعلق بوقائع السيرة وأحداثها في غير أبوابها مبثوثة في أبواب أخرى تحمل عناوين أخرى، ويدخل في ذلك أن بعض الروايات للحديث الواحد جعلها في أبواب السيرة، وروايات أخرى في أبواب أخرى تحت موضوعات فقهية، أو في الأدب، وغير ذلك؛ قال عبد الرزاق هرماس: "وفي أحيان كثيرة نجد المحدث يُقطّع الرواية، فيأتي بأطراف الحديث في أبوابٍ مختلفة، وتحت تراجم متباينة، قد يتعلق بعضها بالمغازي والسير، وبعضها بالعبادات، وبعضها بالبيوع، أو الفضائل، إلى غير ذلك. وتقطيع الحديث وتخريجه في أبواب مختلفة لا يعطي صورة متكاملة للحدث التاريخي كما وقع في زمن النبوة"[1].

ونذكر من ذلك ما يلي من أمثلة:

–روى البخاري بسنده عن يحيى بن سعيد قال أخبرني ابن أنس أنه سمع جابر ابن عبد الله قال: "كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه"[2]. وقد رواه عن يحيى بن سعيد الأنصاري، وهو من الأئمة الأثبات المجمع على تعديلهم، وانفرد البخاري بتخريجه، وجعله في كتاب الجمعة، فهو من الأحاديث المبثوثة في باب غير أبواب السيرة مع أنه في علامات النبوة التي خصص لها باباً بهذا العنوان في كتاب المناقب.

وقريباً من هذا الحديث أخرج بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله ألا أجعل لك شيئاً تقعد عليه فإن لي غلاما نجارا. قال: "إن شئت". قال فعملت له المنبر، فلما كان يوم الجمعة قعد النبي ﷺ على المنبر الذي صنع فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضمها إليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال: "بكت على ما كانت تسمع من الذكر"[3]. ورواه أيضاً مع اختلاف طفيف في ألفاظه بالمعنى نفسه عن شيخ آخر، لكن رواه في باب علامات النبوة في

(1)–مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، ص: 185.

(2)–صحيح البخاري: كتاب صلاة الجمعة، باب الخطبة على المنبر، رقم الحديث: 876.

(3)–صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، رقم الحديث: 1989.

الإسلام من كتاب المناقب، (حديث 3391). وهذا من صنيع البخاري في صحيحه إذ كلما روى الحديث في مكان آخر أو قطّعه فروى طرفاً هنا وطرفاً هناك فإنه ينوع السند لنكتة حديثية يلاحظها. وهو في هذا الحديث يرويه في المرة الثانية وفي الرواية شك من الراوي فروي بعبارة "امرأة من الأنصار أو رجل" على الشك، و"إن شئتم" على الجمع بدل الإفراد في الأولى. ويلاحظ أنه اختار عنواناً للرواية الأولى مخالفاً لترجمة الرواية الثانية للحديث، وجعل كل حديث في باب، كما وضع الحديث الأول تحت ترجمة أخرى. وهذا جزء من منهج البخاري في صحيحه، إذ عرف عنه فقه راسخ وذكاء خاص في وضع التراجم مما يدل على تبحره في فهم الشريعة.

-وفي مثال آخر؛ روى البخاري بسنده عن عروة، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة جاءه الملك، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ..."[1] الحديث.

وهو حديث رواه البخاري في مواطن عدة من صحيحه، رواه في "كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح: 3" عن يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين، وفي "كتاب الأنبياء، باب ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون...﴾، ح: 3212" عن عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب سمعت عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها، وفي "كتاب التفسير، باب سورة العلق، ح: 4670 عن يحيى، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، حدثني سعيد بن مروان، حدثنا محمد ابن عبد العزيز بن أبي رزمة، أخبرنا أبو صالح سلموية، قال: حدثني عبد الله عن يونس ابن يزيد، قال: أخبرني ابن شهاب، أن عروة ابن الزبير، أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ"، وح: 4672 عن ابن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، أن عائشة رضي الله عنها، وفي الكتاب نفسه، والباب نفسه، وح: 4673 عن عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري (ح)، وقال الليث: حدثني عقيل قال محمد أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها، وفي "كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ح: 6581" عن يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، وحدثني عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، قال الزهري: فأخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها، وقد روى في بعضها ما لم يروه في رواية أخرى، وأخرج الروايات في أمكنة مناسبة وبتراجم مختلفة يستفيد منها دارس السيرة، والفقيه، وغيرهما.

(1)-صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿اقرأ وربك الأكرم﴾، رقم الحديث: 4673.

أما الأسانيد فكما نرى لم يتغير الصحابي والتابعي الكبير والتابعي الصغير، بينما روى الحديث عن ابن شهاب من تلاميذه عقيل، ومعمر، ويونس بن يزيد، وأظن أن الاختلاف في المتون هو ناتج عن اختلاف تلاميذ الزهري في رواية الحديث، وهو أمر مشهور عند المحدثين أعني الاختلاف في الرواية على ابن شهاب من تلاميذه. كما تغير شيوخ البخاري في هذه الروايات، وقد كان علماء الحديث حريصين على الإكثار من الشيوخ والرواية عن أكبر عدد ممكن، وكل شيخ يروي الحديث كما وصل إليه من شيوخه.

-وروى البخاري أيضًا حديثًا آخر بالمنهج نفسه فقال: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، - وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له"، وهو في كتاب الجنائز[1].

وأخرجه في موضع آخر من كتب السيرة فقال: حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار، حدثنا إسماعيل بن علية، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك ﷺ قال: خطب النبي ﷺ فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له وقال ما يسرنا أنهم عندنا. قال أيوب أو قال: ما يسرهم أنهم عندنا. وعيناه تذرفان"[2].

وفي الكتاب نفسه روى الحديث فقال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس بن مالك ﷺ قال: "خطب رسول الله ﷺ ..."[3]الحديث.

وأخرج الحديث في كتاب آخر من كتب السيرة فقال: حدثنا أحمد بن واقد، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال ..." الحديث، وفيه "حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم"[4]. وهي رواية تثبت الفضل لخالد ابن الوليد ﷺ، وتصفه بوصف بليغ دون أن يسميه باسمه، فهي منقبة من مناقبه ولذلك أخرج البخاري هذه الرواية في مناقب خالد من كتاب فضائل الصحابة. والذي يتضح أن الروايات كلها تدور عن أيوب، إلا أن تلاميذ أيوب روى كل واحد منهم رواية فيها

(1)-صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه، رقم الحديث: 1187.

(2)-صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب تمني الشهادة، رقم الحديث: 2645.

(3)-صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من تأمر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو، رقم الحديث: 2898.

(4)-صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه، رقم الحديث: 3547، وينظر: حديث انشقاق القمر في: كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وكتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، وكتاب التفسير، باب سورة القمر.

ألفاظ تختلف عن الرواية الأخرى مع أن المعنى واحد، وروى البخاري كل رواية عن شيخ يختلف عن الشيخ الآخر، وهو جزء من منهجه في صحيحه.

– كما روى حديث ذي الخويصرة في كتاب الأدب، وهو حديث في علامات النبوة، إذ يثبت علم النبي ﷺ بأمر غيبي سيقع في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أمر الخوارج وقتالهم، وكان يجب أن يخرّج في باب علامات النبوة[1].

ولا بد أن أذكر أن لتقطيع الحديث وروايته في أبواب مختلفة في صحيح البخاري فوائد مهمة أذكر منها ما يلي:

– زيادة معنى لا يوجد في الرواية الأولى للحديث خدمة للنص من حيث المتن.

– تخريج الحديث عن أكثر من شيخ خدمة لنص الحديث من حيث السند، وخصوصاً أن الرواية قد تتغير إذا تغير الراوي.

– أن يخرج الحديث عن صحابي، ثم يرويه عن صحابي آخر لبيان أن الحديث مروي عن أكثر من صحابي، وذلك لإخراج الحديث عن حد الغرابة.

– يروي أحاديث عن بعض الرواة تامة، وعن رواة آخرين مختصرة لبيان أن الحديث روي على وجهه دفعاً للشبهة عن الناقلين[2].

– يروي متونا فيها اختلاف في الألفاظ، فيخرجها كما وردت، إلا أنه يروي كل لفظ في المكان الناسب، كما مر معنا في حديث "أخذ الراية زيد فأصيب" حيث وردت في الحديث عبارة: "أخذها خالد بن الوليد" ورويت في رواية أخرى بلفظ: "حتى أخذها سيف من سيوف الله"، فأخرج العبارة الثانية في كتاب فضائل الصحابة لأنها فيها منقبة لخالد بن الوليد رضي الله عنه، وهذا يدل على فقه البخاري الدقيق واهتمامه بالمتون، وحسن ترتيبه وتبويبه.

ملاحظات مهمة:

– ويجب أن أشير إلى أن بعض العلماء انتقدوا على البخاري بعضًا مما رواه من وقائع السيرة النبوية، ومن ذلك أنه جاء في صحيح البخاري في باب غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع من كتاب المغازي: "قال ابن إسحاق وذلك سنة ست. وقال موسى ابن عقبة سنة أربع"؛ قال في تحفة الأحوذي: "لكن الصحيح في النقل عن موسى بن عقبة أن المريسيع (أي غزوة بني المصطلق) سنة خمس، فالذي في البخاري حملوه على أنه

---

(1)–صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، رقم الحديث: 5810، والحديث من رواية أبي سعيد الخدري أنه قال: بينا النبي ﷺ يقسم ذات يوم قسما فقال ذو الخويصرة رجل من بني تميم: يا رسول الله اعدل، قال: (ويلك من يعدل إذا لم أعدل). فقال عمر: ائذن لي فلأضرب عنقه، قال: (لا إن له أصحابًا)، وفيه أن أبا سعيد قال: أشهد لسمعته من النبي ﷺ وأشهد أني كنت مع علي حين قاتلهم فالتمس في القتلى فأتي به على النعت الذي نعت النبي ﷺ"، فهو في علامات النبوة.

(2)–ينظر: هدي الساري: ابن حجر؛ تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر–بيروت، 1421هـ–2000م، ص: 16–17، وقواعد التحديث: محمد جمال القاسمي، دار الكتب العلمية، ص: 226–227، وينظر: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: الأمير الصنعاني؛ تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد ابن عويضة، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: 1، 1417هـ–1997م، 50/1.

سبق قلم"[1]. وقال البوطي: "والصحيح الذي ذهب إليه عامة المحققين أنها كانت في شعبان من العام الخامس للهجرة، ومن أبرز أدلة ذلك أن سعد بن معاذ كان حيًا في هذه الغزوة، وله ذكر في قصة الإفك...، وقد توفي سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة متأثراً بجرحه الذي أصيب به في الخندق، وقد كانت غزوة بني قريظة سنة خمس من الهجرة"[2].

– وبعض ما رواه البخاري في صحيحه يمكن أن يؤدي إلى شيء من اللبس في بعض المواطن، ومن ذلك أنه روى بسنده عن ابن عمر ﷺ أن "النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية"[3]، حيث يفيد الحديث بظاهره أن النبي ﷺ أغار عليهم دون دعوتهم، وهذا غير صحيح؛ بل إن الدعوة بلغتهم، وقد كان سيد بني المصطلق يجمع الناس ويتهيأ لمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، ففاجأهم النبي ﷺ وهاجمهم بسرعة فهزمهم[4].

– للبخاري منهج علمي جيد في ترتيب أبواب السيرة، ومن ذلك ترتيبه لأبواب مناقب الصحابة في كتاب فضائل الصحابة؛ فقد بدأه برواية ما جاء في فضل الصحابة عموماً، ثم فضل المهاجرين، ثم فضل الخلفاء الأربعة مرتبين حسب الأفضلية المعلومة، ثم رواية ما جاء في فضل بعض أهل البيت وأصهاره وبعض مواليه، ثم ما جاء في فضل بعض صغار الصحابة مثل بعض العبادلة والحسن والحسين ﷺ، وذكر بعدهم من أسلم متأخراً مثل خالد بن الوليد ﷺ، وأتبع ذلك بذكر مناقب فاطمة وعائشة –رضي الله عنهما–، وأنهى ذلك بذكر مناقب الأنصار، وبعض الصحابة الآخرين. ويبدو من الوهلة الأولى أنه رتب المناقب زمنياً وحسب الأفضلية، وهو منهج أغلبي لا يكاد يطرد، فنجده مثلاً قد قدم ذكر مناقب عدد من الصحابة وهم من صغارهم، وأخّر ذكر فضل عبد الله بن مسعود ﷺ، وهو صحابي كبير له أسبقية عنهم.

وفي كتاب الأنبياء يظهر أثر هذا المنهج أيضًا، حيث رتب ذكر الأنبياء، وهذا كله يدل على وضوح منهج التصنيف لدى البخاري، وهي منهجية علمية تعتمد اليوم في الأبحاث العلمية. لكن ترتيب وقائع السيرة النبوية وأحاديثها هو داخل الكتاب الواحد، ولذلك فيعد ترتيبًا جزئيًا لا يؤدي الغرض من ترتيب أحداث السيرة النبوية زمنيًا.

---

(1)–تحفة الأحوذي، 22/9، وينظر: منهج البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها: أبو بكر كافي، دار ابن حزم– بيروت، ط: 1، 1421هـ–2000م، ص: 219 ,353.

(2)–فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر– بيروت، ط: 7، د.ت، ص: 214.

(3)–صحيح البخاري: كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية، رقم الحديث: 2403.

(4)–ينظر: فتح الباري، 431/7.

–من أهم ما يستفاد من كتب السيرة وأبوابها وأحاديثها المبثوتة في سائر الكتب البعد التربوي في سير الصحابة وتعاملهم مع النبي ﷺ، ومع القرآن الكريم، وغير ذلك، وعلينا التعامل مع هذه الأحاديث لتربية أبناء المسلمين على ما فيها من قيم ومبادئ ومثل، واتخاذ المثل والأنموذج بدل المثل الغربي الذي سيطر على مسار التربية في بلداننا الإسلامية.

المبحث الثاني– السيرة النبوية في صحيح مسلم –رحمه الله–:

المطلب الأول– أبواب السيرة النبوية في صحيح مسلم:

خصص الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– أبواباً للسيرة النبوية، وإن كان دون شيخه البخاري، إلا أنه يمكن اعتبار صحيحه في الدرجة الثانية بعد صحيح البخاري.

ويمكن فيما يلي التحدث عن الأبواب التي روى بها الإمام مسلم أحاديث تروي لنا وقائع السيرة النبوية وتتحدث عن النبي ﷺ وتصرفاته، وعن الصحابة، وغير ذلك:

1– كتاب الجهاد والسير، وفيه واحد وخمسون باباً بدأها بباب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة، وختمها بباب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر، وروى فيها أحاديث ذات قيمة فقهية تربوية تعليمية دعوية تضمنت أحكاماً مهمة للمسلم فيها توجيهات نبوية ربانية فيما يخص توصية الأمراء على الكتائب المجاهدة، والأمر بالتيسير وترك التنفير، وتحريم الغدر، وجواز الخداع في الحرب، وغيرها، وكأني بالإمام مسلم يريد من القارئ أن يتفقه في هذه الأحكام التي تفيده في معرفة كل ما يخص الجهاد قبل أن يبدأ فيه، ثم روى ما يتعلق بالغزوات ومنها غزوة بدر، وأحد، وفتح مكة، وصلح الحديبية دون أن يرتب هذه الأحداث من الناحية الزمنية، وهي ملاحظة تعم كل كتب الحديث رواية بخلاف كتب السيرة النبوية التي روت أحداث السيرة النبوية ووقائعها مرتبة زمنياً من بداية البعثة إلى نهايتها. ويلاحظ أن مسلمًا دمج كتاب الجهاد مع السير سيرًا على نهج شيخه البخاري.

ومن الأحاديث التي رواها في هذا الكتاب ما رواه بسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: "اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال..."[1] الحديث. وفيه العديد من الفضائل التي يجب على المسلم أن يتحلى بها أثناء الغزو، وهو ما يميز الإسلام عن غيره من أصحاب الديانات والمذاهب الذين تجاوزوا الحدود الأخلاقية في التعامل مع من يخالفهم في الدين أو الجنس أو اللون؛

(1)– صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم الحديث: 1731.

بل وقع في ذلك المسلمون أنفسهم مع إخوانهم، وما الأحداث التي وقع فيها المسلمون حالياً في مالي –البلد الإفريقي المسلم– عنا ببعيد.

ومنها أيضًا ما رواه في صلح الحديبية بسنده عن البراء بن عازب ﷺ قال: "كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية فكتب (هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله)، فقالوا لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحه)، فقال ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي ﷺ بيده قال، وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح"[1]. وتسجيل وقائع صلح الحديبية بالسند الصحيح يكتسي أهمية خاصة من حيث إنه يمثل حالة مغايرة لجميع الحالات التي تصف العلاقة بين المسلمين ومشركي قريش، وهو شكل من أشكال الهدنة والصلح وفق شروط محددة لم يتسع أفق بعض الصحابة لفهمها وتمثلها إلا بعد المرور بهذه التجربة الخاصة ورؤية نتائجها الإيجابية. ويمثل هذا الصلح أصلاً مهماً يمكن للمسلمين الاستفادة منه في كل عصر.

2– كتاب الإمارة، وفيه ست وخمسون بابًا، أولها باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، وآخرها باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلًا لمن ورد من سفر، تضمن هذا الكتاب أبوابًا مهمة جدًا في السيرة النبوية، وروى فيها الإمام مسلم أحاديث أصول في قضايا تنظم العلاقات بين الناس في المجتمع المسلم مثل مسألة البيعة، ومن هذه الأبواب باب استجباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، وباب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى (لا هجرة بعد الفتح)، وباب كيفية بيعة النساء، وباب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، وباب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وفيها أحاديث تبين فضل البيعة، وتربي المسلم على حب الجهاد وتمني الشهادة في سبيل الله تعالى، وغير ذلك من المعاني التي يجب أن نربي عليها الأجيال المسلمة، وعلى الدعاة والعلماء استثمارها في دعوة الناس إلى الإسلام.

3– كتاب الفضائل، وفيه ست وأربعون بابًا، بدأها بباب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، وختمها بباب من فضائل الخضر عليه السلام، وأكثر الأبواب تتعلق بالنبي ﷺ، وفيه باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، وباب في معجزات النبي ﷺ، وباب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك، وباب كثرة حيائه ﷺ، وغيرها من الأبواب التي تركزت على بيان ما انفرد به النبي ﷺ عن الأنبياء، ومعجزاته، وفضائله التي أوتيها من دون سائر خلق الله تعالى، وصفاته التي ذكرها الإمام مسلم وفيها الكثير من الفوائد التربوية مما يجعل صحيح مسلم يتميز في منهجه في بناء

(1)– صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، رقم الحديث: 1783.

الأبواب بهذه الميزة وهي التركيز على التأثير في القارئ وتربية المسلم ولفت انتباهه إلى ما يزكي به نفسه، وقد أشرت إلى هذا المنهج في الكتاب الأول (الجهاد والسير). بالإضافة إلى بعض الأبواب في بيان هدى النبي ﷺ والعلم الذي بعث به، ووجوب اتباع سنته، وجوده، وحسن خلقه، وفضائل بعض الأنبياء. وهو كتاب –كما ترى– ثري بالمعاني والأحكام والآداب التربوية التي يجب أن يؤمن بها المسلم إيمانًا عميقًا، وأن يتبعها في حياته، وتظهر عليه آثار هذا الإيمان سلوكيًا.

ومن الأحاديث التي رواها في هذا الكتاب حديثه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[1].

ومنها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه"[2]. وتبين هذه الأحاديث فضل النبي ﷺ، وما اتصف به من صفات خلقية رفيعة، وكيفية ضبطه القرآن الكريم، وأهمية مدارسة القرآن، وأثره على دارسه، وفضل رمضان، وغير ذلك من الأحكام والفوائد التربوية، وصفات النبي ﷺ، وهذا كله يبين أهمية تدوين السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

4– كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ضمّنه ستين بابًا: أولها باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وآخرها باب قوله ﷺ: "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة". روى به أحاديث في فضائل الصحابة فيها الكثير من المعاني ابتدأها بخير الناس بعد النبي ﷺ وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي روى في فضله أحاديث منها حديثه بسنده عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: "عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده"، فبكى أبو بكر وبكى فقال فديناك بآبائنا وأمهاتنا، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: "إن أمن الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن إخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر"[3].

---

(1)– صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم الحديث: 2308.

(2)– صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ، رقم الحديث: 2320.

(3)– صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم الحديث: 2382.

وروى أحاديث في فضل بعض النساء من آل بيت النبي ﷺ ونسائه، ومنها حديثه بسنده عن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– قالت: "قال رسول الله ﷺ: أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا، قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يدًا"[1].

وهذا الكتاب –كما نرى– مليء بأحاديث فيها الكثير من العظات والدروس والعبر، فهي ابتداءً تثبت فضل هؤلاء الجلة من أفاضل هذا الجيل القرآني الفريد الذي تربى على يدي النبي ﷺ، ونهل من القرآن، وحضر أفراده القرآن يتنزل، وشهدوا مواقف وغزوات، وأنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده، ونصروا النبي ﷺ، فقراءة أحاديث تروى عنهم في مزاياهم وفضائلهم تثبت هذا كله أولًا، ثم هي نصوص شرعية فيها الكثير من العبر والدروس والتأسي والاقتداء بمن اهتدى على يدي نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

5– كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، وبه تسعة عشر بابًا، أولها باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، وآخرها باب الاقتصاد في الموعظة، وهو كتاب به أحاديث توضح أحكام المنافقين، وأدخل فيه أبوابًا في صفة المؤمن، وبعضها في العلم، ولا يعلم كيف أدخل فيه هذه الأبواب وما علاقتها بأحكام المنافقين؟. إلا أنه كتاب مهم ربما انفرد مسلم بتبويبه في صحيحه عن غيره من علماء الحديث.

ومن الأحاديث التي رواها في هذا الكتاب حديثه بسنده عن زيد بن أرقم ﷺ يقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله ..."[2] الحديث.

ومنها أيضاً حديث رواه بسنده عن شقيق قال: "كنا جلوسا عند باب عبد الله ننتظره فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي، فقلنا أعلمه بمكاننا، فدخل عليه، فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال: إني أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أُمِلّكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا"[3]. وهذا من الأحاديث التي تثبت كيفية تعليم النبي ﷺ أصحابه، وتوضح أن هذا المنهج كان يطبقه الصحابة في تعليمهم الناس، وهذه ناحية مهمة جداً من مجالات السيرة النبوية.

6– وبوّب أبوابًا في السيرة النبوية في كتب أخرى ذات موضوعات فقهية، وقد فعل هذا في كتاب الحج حيث بوّب عددًا من الأبواب في فضل المدينة، ومنها باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وباب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، وباب أُحُد جبل يحبنا ونحبه، وغيرها.

---

(1)– صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، رقم الحديث: 2452.

(2)– صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم الحديث: 2772.

(3)– صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة، رقم الحديث: 2821.

المطلب الثاني– أحاديث السيرة في صحيح مسلم في غير أبوابها:

اختلف الإمام مسلم عن شيخه البخاري بأنه لم يُقَطِّع الحديث الواحد في الأبواب؛ بل أخرج الأحاديث وطرقها في موطن واحد بأسانيدها المتعددة وألفاظها المختلفة، إلا أن ذلك لم يمنع من رواية أحاديث تتعلق بالسيرة النبوية في أبواب أخرى في موضوعات فقهية، وذلك يرجع أساسًا إلى تداخل الموضوعات وتعددها، إذ نجد بعض القضايا الفقهية ترد في أحاديث رويت في الغزوات وغيرها، مثل التيمم وصلاة الخوف وغيرهما.

وأذكر في هذا المجال حديث التيمم الذي يرويه بسنده عن عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر، فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، ..."[1] الحديث. وصلة هذا الحديث بالسيرة وروده حين غزو النبي ﷺ، وذلك واضح في بدايته حين قال الراوي: "خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره". ويبين وقت نزول الأحكام وورودها، ويتعلق الأمر هنا بالتيمم، ولم يخرجه في الغزوات.

ومنها حديث يرويه بسنده عن عروة بن الزبير قال: "كان أبو هريرة يحدث ويقول: اسمعي يا ربة الحجرة اسمعي يا ربة الحجرة، وعائشة تصلي فلما قضت صلاتها، قالت لعروة: ألا تسمع إلى هذا ومقالته آنفًا؟ إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه"[2]. وصلة هذا بالسيرة تظهر في كيفية تحديث النبي ﷺ بالحديث، وهي ناحية تربوية تعليمية، حيث تستدرك عائشة رضي الله عنها –كما هو معروف عنها– على أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يسرد الحديث سردًا بالقرب من حجرتها، ولا يقصر الكلمات، ويتابع الكلام دون توقف مما قد يرهق المستمع ويُمِلّه، ولم يتأسّ بالنبي ﷺ في كيفية التحديث. وهذا أمر يبين لنا أن التأسي بالنبي ﷺ يكون في المنهج والطريقة والأسلوب، كما يكون في الأحكام والمعاني والآداب.

وأشير هنا إلى أن الإمام مسلمًا روى هذا الحديث في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم لكن بلفظ آخر يفسر اللفظ الأول، وهو الحديث الذي يرويه بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت له: ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يسمعني ذلك، وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي،

(1)– صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث: 2493.

(2)– صحيح مسلم: كتاب الحيض، باب التيمم، رقم الحديث: 367.

ولو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم"[1]. وغير ذلك من الأحاديث.

وأخرج بسنده عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبدالرحمن عن أخت لعمرة قالت: "أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ مِن في رسول الله ﷺ يوم الجمعة، وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة"، ورواه بلفظ قريب منه بسنده عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن يحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان[2].

فعلى الرغم من أن الإمام مسلمًا اختلف منهجه عن شيخه الإمام البخاري حيث لم يُقَطِّع الحديث الواحد في أبواب مختلفة؛ بل ضم الأحاديث وطرقها في موطن واحد بأسانيدها المتعددة وألفاظها المختلفة، إلا أن هذا لم يمنع من وجود بعض الأحاديث في أكثر من باب للضرورة، وقد يخرج حديثاً أو أحاديث في السيرة النبوية في أبواب غير أبوابها، قال عبد الرزاق هرماس: "إن مرويات السيرة في كتب الحديث، لا توجد في أبواب الجهاد والسير والمغازي وفضائل الصحابة والمناقب فقط؛ بل في أغلب الأبواب الأخرى، فعلى دارس السيرة النبوية أن يستثمر كل الكتب والأبواب في استخراج روايات السيرة النبوية"[3].

(1)- صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ، رقم الحديث: 2493، وينظر: صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث: 2973، وكتاب الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، وكتاب اللعان: رقم الحديث: 1492.

(2)-صحيح مسلم: كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: 872 و873.

(3)-مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، ص: 90.

المبحث الثالث– أحاديث السيرة في موطأ الإمام مالك –رحمه الله–:

ومن أبرز المصنفات الحديثية المؤلفة في القرن الثاني الهجري "موطأ مالك" –رحمه الله–، وهو أشهر موطأ، وإن لم يكن الوحيد. ولموطأ مالك، مكانة رفيعة بين كتب الحديث، وهو يتميز بالجمع بين الحديث والفقه، فقد دوّن فيه الإمام مالك –رحمه الله تعالى– الأحاديث المرفوعة، وبعضها في أعلى درجات الصحة، والموقوفات على الصحابة والتابعين، وأتباعهم، بل ودون فيه آراءه الفقهية، وعمل أهل المدينة، وبعض الفتاوى مما أعطاه قيمة علمية خاصة.

وموطأ مالك من أعلى كتب السنة إسنادًا، ففيه أسانيد في أعلى درجات الصحة، وأبرزها: مالك عن نافع عن ابن عمر، وهو أصح الأسانيد على الراجح. وفيه أحاديث مرسلة، وأخرى منقطعة، وبلاغات يقول فيها مالك "بلغني"، وبالنظر في جهود العلماء لخدمة الموطأ يثبت لدينا أن وصلها قام به ابن عبد البر –رحمه الله– في كتابيه "التمهيد" و"الاستذكار"، ولا يوجد في الموطأ حديث متروك أو موضوع. ويوجد به حديث أو حديثان ضعيفان، وراويان ضعيفان فقط، رويت أحاديثهم من طرق أخرى، ومرتبة الموطأ –كما ثبت للباحث– بعد الصحيحين وفوق السنن.

وكان مالك، رحمه الله، شديد التحري في الرواية، فهو أعلم الناس برواة المدينة، ولذا قُبل تعديله للرواة المدنيين الذين خرّج لهم في الموطأ، وكان نتيجة ذلك دائم النظر في كتابه، فكان يحذف منه باستمرار، حتى قيل إنه لو امتد به العمر، لما أبقى منه شيئًا.

ومن حيث شهرة روايات الموطأ؛ فإن رواية يحيى بن يحيى الليثي أشهر روايات الموطأ، وعليها جل الشروح، ويأتي بعدها في الشهرة رواية محمد بن الحسن الشيباني، وفيها زيادات عن مالك، وزيادات عن غير مالك، ولمحمد آراء فقهية خاصة به، ضمّنها الموطأ، فقد كان من المجتهدين.

أما عن تدوين ما يتعلق بالسيرة النبوية وبعض وقائعها في الموطأ؛ فقد قرر محمد أبو شهبة أن "أقدم كتاب وصل إلينا في الأحاديث، وهو موطأ الإمام مالك –رحمه الله– (المتوفى 179)، لم يخلُ من ذكر جملة من الأحاديث فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ، وأوصافه، وأسمائه، وذكر ما يتعلق بالجهاد"[1]. وفيما يلي من حديث تفصيل هذا الأمر:

المطلب الأول– أحاديث السيرة النبوية في أبوابها الخاصة:

خصص الإمام مالك –رحمه الله تعالى– بعض الأبواب لرواية وقائع السيرة النبوية، لكنه –كما يبدو– كان أقل من غيره، ومع ذلك فيه أحاديث أصول في السيرة النبوية تعتمد لاستنباط المعاني والأحكام والتوجيهات النبوية.

---

(1)–السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد أبو شهبة، دار القلم– دمشق، 1409هـ–1988م، 27/1.

أما الكتب والأبواب التي خصصها الإمام مالك للسيرة النبوية؛ فأذكرها فيما يلي:

1- كتاب الجهاد، وبه واحد وعشرون بابًا، بدأها بباب الترغيب في الجهاد، وختمها بباب إنفاذ أبي بكر ﷺ عدة رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ. وروى به أحاديث بها معاني أساسية يجب على كل مسلم معرفتها من بينها فضل الشهادة والشهداء، والنهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، إلا أنه تجب الإشارة هنا أن الإمام مالكاً لم يكتف بالأحاديث المرفوعة فقط؛ وإنما أورد آثار موقوفة، وأورد آراءه، وعمل أهل المدينة كما هو منهجه في الموطأ، ومن الأبواب في هذا الكتاب التي تضمنت آراءه "باب إحراز من أسلم من أهل الذمة أرضه". وكما هو واضح؛ فإن هذا الكتاب يتضمن أبواباً تربي المسلم وتجعله يقف على ما يزكو به إيمانه، من مثل بيان فضل الجهاد، وتحريم الغلول من الغنيمة، وفضل النفقة في الجهاد، وذلك يتبين بجلاء حين النظر في تلك الأبواب.

ومن الأحاديث التي رواها في هذا الكتاب ما رواه بسنده عن عمرو بن شعيب أن رسول الله ﷺ حين صدر من حنين وهو يريد الجعرانة سأله الناس حتى دنت به ناقته من شجرة فتشبكت بردائه حتى نزعته عن ظهره، فقال رسول الله ﷺ: ردوا علي ردائي، أتخافون أن لا أقسم بينكم ما أفاء الله عليكم، والذي نفسي بيده، لو أفاء الله عليكم مثل سمر تهامة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذابًا، فلما نزل رسول الله ﷺ قام في الناس، فقال: أدوا الخياط والمخيط؛ فإن الغلول عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة، قال: ثم تناول من الأرض وبرة من بعير أو شيئا ثم قال والذي نفسي بيده مالي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم"[1]، قال ابن عبد البر: "في هذا الحديث دليل على أن رسول الله ﷺ غزا غزوة حنين وغنم فيها، وإن كان هذا لا يحتاج إلى دليل لثبوت معرفة ذلك عند العامة والخاصة من العلماء، ولكن ذكرنا ذلك لأن بمثل هذا الحديث وشبهه عرف ذلك. وفيه إباحة سؤال العسكر للخليفة حقوقهم من الغنيمة أن يقسمه بينهم، وفيه جواز قسم الغنائم في دار الحرب؛ لأن الجعرانة كانت يومئذ من دار الحرب، وفيها قسم رسول الله ﷺ غنائم حنين"[2]، فقول ابن عبد البر هنا: "في هذا الحديث دليل"، و"لأن بمثل هذا الحديث وشبهه عرف ذلك" ما يوضح أهمية تدوين علماء الحديث وقائع السيرة النبوية في كتب الحديث، وهو ما جعل الحديث النبوي المصدر الثاني من مصادر السيرة بعد القرآن الكريم إذ من هذه الأحاديث تؤخذ مثل هذه الأحكام والمعاني والفوائد التربوية.

---

(1)- الموطأ: كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول، رقم الحديث: 977، والحديث مرسل، وقد وصله ابن عبد البر في التمهيد؛ تحقيق: مصطفى ابن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – الرباط، 1387 هـ، 38/20.

(2)-التمهيد: ابن عبد البر، 38/20.

ومنها أيضًا ما رواه بسنده عن عبد الرحمن بن كعب أنه قال: نهى رسول الله ﷺ الذين قتلوا ابن أبي الحقيق عن قتل النساء والولدان، فكان رجل منهم يقول: برّحت بنا امرأة ابن أبي الحقيق بالصياح، فأرفع السيف عليها، ثم أذكر نهي رسول الله ﷺ فأكف، ولولا ذلك استرحنا منها"[1]. وهذا يبين أن مالكًا روى بعض الأحكام التي يجب أن يُفقِّه بها المسلم نفسه لمعرفة أحكام الجهاد قبل الخوض فيه، وهو ما يذكرنا بالمنهج الذي سار عليه الإمام مسلم من إيراد أحاديث بها أحكام شرعية خاصة بموضوع الكتاب قبل رواية بعض الوقائع. إلا أن الملاحظ أن الموطأ ليس به وقائع كثيرة في هذا الكتاب، ومع هذا توجد به أحاديث مهمة وأحكام شرعية العلم بها واجب، وتوجيهات تربوية من النبي ﷺ، أو هي مستخلصة من صنيع الصحابة رضي الله عنهم وتطبيقهم للأوامر النبوية. ولعل أهم حكم يؤخذ من هذا الحديث العظيم يتعلق بالنهي عن قتل المرأة وفي ذلك حفظ الإسلام للمرأة ومراعاة كرامتها، وهذا المعنى هو الذي ترجمه به الإمام مالك رحمه الله، وانفرد بإخراجه دون البخاري[2] الذي أخرج الحديث تامًا ولكن ليس فيه ما رواه مالك، ولم يخرجه مسلم، ثم وجوب قتل من آذى الإسلام والمسلمين إيذاءً شديدًا إذا كان مقدورًا عليه، والمسلمون في عزة ومنعة، وكل هذا يبين أهمية تدوين علماء الحديث هذه الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، وضرورة جمع طرق الحديث والمقارنة بينها.

2- كتاب صفة النبي ﷺ، وبه ثلاثة عشر باباً، بعضها في صفة النبي ﷺ، وصفة عيسى عليه السلام، وبعضها في النهي عن الأكل بالشمال، وما جاء في شرب الرجل وهو قائم، وغير ذلك، ولعل المرء يتساءل عن صلة بعض الأبواب التي دوّنها الإمام مالك وروى بها بعض الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، وبعضها لا تظهر صلته بالسيرة، وبعضها ليس به إلا آثار موقوفة؟، ولعلني أجيب بأن العلماء كانوا يراعون المناسبة بين الأحاديث فيخرجون الحديث بعد الآخر والباب بعد الآخر لمناسبة علمية أو منهجية تظهر لهم، ولا يكون ذلك مما له صلة بالسيرة بالضرورة ما دام الغرض رواية ما رفع إلى النبي ﷺ، وصحت نسبته إليه دون التقيد إلا بالطابع المنهجي العام المتبع في تدوين الأحاديث، -والله أعلم، وهو الموفق للصواب-.

3-كتاب أسماء النبي ﷺ، جعل به بابًا واحدًا في أسماء النبي ﷺ، وروى فيه حديثًا واحدًا هو ما رواه بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"[3].

---

(1)-الموطأ: كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، رقم الحديث: 963.

(2)-أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، الأحاديث: 3812، و3813، و3814.

(3)-الموطأ: كتاب أسماء النبي ﷺ، باب أسماء النبي ﷺ، رقم الحديث: 1823.

4- وقد بوّب الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام مالك في روايته للموطأ أبوابًا خاصة بالسيرة تحت عنوان: "أبواب السير وغيره" ضمنها ما يتعلق صراحة بالسيرة، وما يتعلق بغيرها. وفيما يلي سأذكر ما ظهر لي متعلقًا بالسيرة النبوية ووقائعها: باب الرجل يعطي الشيء في سبيل الله، وباب إثم الخوارج وما في لزوم الجماعة من الفضل، وباب قتل النساء، وباب المرتد، وباب نزول أهل الذمة مكة والمدينة وما يكره من ذلك، وباب الشفاعة، وباب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وهو باب لا يوجد في رواية يحيى بن يحيى الليثي، وباب صفة النبي ﷺ، وهو موجود في رواية يحيى، وباب قبر النبي ﷺ وما يستحب من ذلك، وهو باب لا يوجد في رواية يحيى.

وبالمقارنة بين روايتي يحيى والشيباني يظهر أن هناك اختلافًا بينهما في ترتيب الأحاديث ووضعها في أبواب مختلفة؛ فقد رأيت مثلًا أن حديث ابن عمر في زيارة قبر النبي ﷺ رواه الشيباني في أبواب السير، بينما رواه يحيى في كتاب قصر الصلاة، باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ، وكلاهما محق فيما فعل، لأن هذا الأمر يتعلق بفعل الصلاة، وبسيرة صحابي جليل، إلا أن بين الروايتين اختلافاً قليلًا؛ فقد روى يحيى عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، وروى محمد بن الحسن قال أخبرنا مالك أخبرنا عبد الله بن دينار أن ابن عمر كان إذا أراد سفرا أو قدم من سفر جاء قبر النبي ﷺ فصلى عليه ودعا ثم انصرف. قال محمد (أي ابن الحسن الشيباني): هكذا ينبغي أن يفعله إذا قدم المدينة يأتي قبر النبي ﷺ.

ومثال ما روياه في مكانه من الأبواب المختصة بالسيرة ما يتعلق بالنهي عن قتل النساء؛ فقد روى يحيى حديثاً في ذلك في كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو، ورواه محمد في أبواب السير، باب قتل النساء، واتفقا سندًا ومتنًا، وزاد محمد اجتهادًا له موافقًا للحديث.

المطلب الثاني- أحاديث السيرة النبوية في الموطأ في غير أبوابها:

روى الإمام مالك أحاديث في موضوعات من السيرة النبوية لكنه لم يرتبها في أبوابها، وإنما رواها تحت موضوعات أخرى مثل الصلاة، أو الطهارة، أو الحج، أو غير ذلك. ومثال هذا حديث مالك عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله ابن عدي بن الخيار أنه قال: "بينما رسول الله ﷺ جالس بين ظهراني الناس إذ جاءه رجل، فساره فلم يدر ما ساره به حتى جهر رسول الله ﷺ، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله ﷺ حين جهر: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقال الرجل: بلى، ولا شهادة له، فقال: أليس يصلي؟ قال: بلى، ولا

صلاة له. فقال ﷺ: أولئك الذين نهاني الله عنهم"[1]. وقد رواه في كتاب من كتب الصلاة، والحديث مرسل ووصله ابن عبد البر[2]. وعلاقة هذا الحديث بالصلاة واضحة، كما أن من أخرجه في باب الشهادة يكون محقًا، إلا أن إخراجه في باب من أبواب السيرة –لأنه يؤصل ما صنعه النبي ﷺ مع المنافقين– يكون مهمًا يوفر على القارئ الجهد والوقت في البحث عن مثل هذا الحديث المهم في أحكامه، فالحديث يبين علاقة النبي ﷺ بالمنافقين ومعاملته لهم.

ومن ذلك أيضًا حديث التيمم السابق ذكره عند الحديث عن صحيح مسلم؛ فقد أخرجه الإمام مالك في كتاب الطهارة، باب في التيمم، وفيه ذكر واحدة من الغزوات، وأنه نزل فيها حكم التيمم عندما فقد الصحابة الماء. ولكن ينبغي القول: إن الموطأ ليس فيه ذكر الكثير من الغزوات إلا عرضًا. وفي هذا الحديث "من الفقه خروج النساء مع الرجال في الأسفار، وخروجهن مع الرجال في الغزوات وغير الغزوات مباح إذا كان العسكر كبيرًا يؤمن عليه الغلبة"[3]. وهذه من أحكام الجهاد الخاصة بالنساء التي تستفاد من تدوين هذه الأحاديث.

ومنها أيضًا حديث مالك عن ابن شهاب عن عباد بن زياد من ولد المغيرة ابن شعبة عن أبيه عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ ذهب لحاجته في غزوة تبوك قال المغيرة فذهبت معه بماء فجاء رسول الله ﷺ فسكبت عليه الماء فغسل وجهه ثم ذهب يخرج يديه من كمي جبته فلم يستطع من ضيق كمي الجبة فأخرجهما من تحت الجبة فغسل يديه ومسح برأسه ومسح على الخفين فجاء رسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن عوف يؤمهم وقد صلى بهم ركعة فصلى رسول الله ﷺ الركعة التي بقيت عليهم ففزع الناس فلما قضى رسول الله ﷺ قال أحسنتم"[4]. وقد أخرجه في كتاب الطهارة ليدلل به على حكم المسح على الخفين، وهو حديث منقطع وأوصله صاحب التمهيد[5]؛ ومن فقهه ما نجده عند ابن عبد البر في قوله: "في حديث مالك في هذا الباب ضروب من معاني العلم، منها خروج الإمام بنفسه في الغزو لجهاد عدوه.... وفيه آداب الخلاء والبعد عن الناس عند حاجة الإنسان .... وفيه إباحة لبس الضيق من الثياب؛ بل ذلك ينبغي أن يكون مستحبا مستحسنا في الغزو .... وفيه أن العمل الخفيف في الغسل والوضوء لا يوجب استينافه....ومنها أن رسول الله ﷺ صلى مع عبد الرحمن بن عوف ركعة، وجلس معه في الأولى، ثم قام فقضى..."[6]. وهذه كلها معاني تثبت أهمية تدوين هذه

(1)–الموطأ: كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، رقم الحديث: 413.

(2)–ينظر: التمهيد، 150/10، وما بعدها.

(3)–التمهيد، 266/19، وما بعدها.

(4)–الموطأ: كتاب الطهارة، باب ما جاء في المسح على الخفين، رقم الحديث: 71.

(5)–ينظر: التمهيد، 121/11، وما بعدها.

(6)–ينظر: التمهيد، 131/11، وما بعدها.

الأحاديث النبوية المتعلقة بالسيرة النبوية في كتب الحديث مما يفيد المسلم الداعية في كيفية التأسي بالنبي ﷺ، وهي معاني –كما نرى– متعددة، وذات موضوعات مختلفة نفيد منها في مجالات مختلفة، بعضها في السيرة النبوية، وبعضها في الأحكام الشرعية، وبعضها في الآداب والتوجيهات التربوية.

ومنها حديثه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أبيه رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ حين تزوج أم سلمة وأصبحت عنده قال لها: ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعت عندك وسبعت عندهن، وإن شئت ثلثت عندك ودرت، فقالت ثلث"[1]. وهو حديث مهم في سيرة النبي ﷺ مع زوجاته في بعض الأحكام الخاصة.

هذا وأرى أن أسجل بعض الملاحظات فيما يلي:

– روى البخاري ومسلم بعض الأحاديث من طريق الإمام مالك، نظرًا لأن مالكًا يتحرى في الرواية عن حملة الحديث فلا يروي إلا عمن هو ثقة يصلح للاحتجاج به، وفي موطئه أسانيد قيل فيها "أصح الأسانيد"، ومنها سند "مالك عن نافع عن ابن عمر"، وبالموطأ عدد من الأحاديث عند الشيخين في صحيحيهما، اتفاقاً أو انفراداً.

– أخرج الإمام مالك في موطئه أحاديث نبوية مرسلة ومنقطعة وبلاغات، إلا أنه ثبت أنها حجة، وقد أوصلها ابن عبد البر في كتابيه "التمهيد" و"الاستذكار"، حتى قيل: إن إسناد هذه الأحاديث كان دينًا على المالكية فأداه عنهم ابن عبد البر. وهذا كله يثبت تحري أئمة الحديث في الرواية، واعتمادهم الرواة الثقاة، وهم من علماء الجرح والتعديل مما أعطى رواياتهم في السيرة النبوية وغيرها قيمة علمية كبيرة[2].

– يعد صحيح مسلم غنيًا بأبواب السيرة النبوية ووقائعها وأحاديثها، بخلاف الموطإ الذي لا يحتوي على أبواب كثيرة ووقائع كثيرة، وربما يعود السبب في هذا إلى أن مالكاً كان ينظر باستمرار في كتابه فيحذف منه ويهذبه، حتى قيل: لو بقي مالك طويلًا لما أبقى فيه شيئًا، إلا أن مالكًا أغنى موطأه بالآثار الموقوفة والمقطوعة والاجتهادات الفقهية.

– تتحد الرواية أحيانًا بين الأئمة الثلاثة في بعض الأحاديث، وربما يعود السبب في هذا إلى أن الشيخين رويا بعضها من طريق الإمام مالك، ومن ذلك حديث جبير ابن مطعم قال: "سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بـ"والطور""[3]؛ قال ابن عبد البر معلقًا على رواية مالك هذا الحديث: "وفي هذا الحديث شيء سقط من رواية مالك في

---

(1)–الموطأ: كتاب النكاح، باب المقام عند البكر والأيم، رقم الحديث: 1102.

(2)–ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، ص: 65.

(3)–أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الصلاة، باب القراءة في المغرب والعشاء، رقم الحديث: 171، والبخاري في صحيحه: كتاب صفة الصلاة، باب الجهر في المغرب، رقم الحديث: 731، ومسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، رقم الحديث: 463.

الموطأ لم يذكره أحد من رواته عنه فيه، وذكره غيره من رواة ابن شهاب، وهو معنى بديع حسن من الفقه؛ وذلك أن جبير بن مطعم سمع هذا الحديث من النبي ﷺ وهو كافر، وحدث به عنه وهو مسلم"[1]، والأمر نفسه ينطبق على الإمام مسلم، بينما أخرجه البخاري من طريق مالك باللفظ نفسه في رواية، ومن طريق معمر عن ابن شهاب بزيادة: "وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي"[2]، وفي رواية أخرى بزيادة: "وكان جاء في أسارى بدر"[3]، وهذا فضل يثبت للبخاري في رواية معاني قصرت عنها رواية مالك ومسلم، وهذه الزيادات عند البخاري أفادتنا في ستة معاني على الأقل: أولها؛ أن الحديث وارد في السيرة النبوية، وثانيها؛ أن جبير بن مطعم جاء يفتدي أسرى بدر، ثم رأى ما رأى وروى ذلك وأداه، وثالثها؛ أن الرجل كان كافرًا حين سمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب، وأدى الحديث حين أسلم؛ فهو مثال جيد في باب من سمع كافرًا وأدى مسلمًا، ورابعها؛ أن زمن ورود الحديث بعد غزوة بدر، وخامسها؛ إثبات اختلاف الرواية باختلاف الرواة، وسادسها؛ أثر القرآن الكريم على النفوس حين سماعه. وهذه بعض فوائد جمع روايات الحديث الواحد.

وقد روى الإمام أحمد رواية أخرى للحديث فيها تصريح وتوضيح للمعاني السابقة وفيها ألفاظ حسنة، قال: حدثنا محمد بن جعفر وبهز، قالا حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، قال سمعت بعض إخوتي يحدث عن أبي عن جبير بن مطعم أنه أتى النبي ﷺ في فداء المشركين، وقال بهز: في فداء أهل بدر، وقال محمد بن جعفر وما أسلم يومئذ، قال: فانتهيت إليه، وهو يصلي المغرب وهو يقرأ فيها بالطور، قال: فكأنما صدع قلبي حيث سمعت القرآن، وقال بهز في حديثه: فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن"[4].

المطلب الثالث– علماء السيرة ورواتها في الصحيحين والموطأ:

حدث الشيخان ومالك عن عدد من العلماء بالسير ومغازي رسول الله ﷺ، ومنهم من أكثروا عنه وخصوصًا المشهورين منهم مثل عروة وابنه هشام، وابن شهاب الزهري، وغيرهم. وفيما يلي ذكر نماذج من ذلك:

أ– رواية البخاري عن علماء السيرة في صحيحه:

روى الإمام البخاري عن عدد من علماء السيرة عددًا مهمًا من الأحاديث سواء تعلقت بالأحكام الشرعية أم بأحداث السيرة النبوية. وسأكتفي هنا بذكر ثلاثة علماء من علماء السيرة الذين روى عنهم البخاري في صحيحه:

---

(1)–انظر: التمهيد، 146/9.

(2)–أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا، رقم الحديث: 3798.

(3)–أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب فداء المشركين، رقم الحديث: 2885.

(4)–أخرجه في المسند، 340/27، رقم الحديث: 16785.

أ- موسى بن عقبة بن أبي عياش (ت: 141هـ): الإمام، الثقة، الكبير، كان بصيرًا بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك، أدرك: ابن عمر، وجابرًا. وحدث عن: أم خالد، وعداده في صغار التابعين. حدث عن: علقمة بن وقاص، وأبي سلمة، وسالم بن عبد الله، وعروة بن الزبير، وعنه: بكير بن عبد الله بن الأشج، وشعبة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومالك، والسفيانان، وغيرهم. ثقة، ثبت، كثير الحديث. كان مالك إذا قيل له: مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بـ (مغازي موسى بن عقبة)، فإنه ثقة، وقال عن كتابه ابن معين: "كتاب موسى بن عقبة من أصح هذه الكتب"[1].

روى له البخاري عددًا من الأحاديث النبوية، في الصلاة، والأذان، والجمعة، والجنائز، والزكاة، والحج، والبيوع، وفرض الخمس، والمزارعة، والجهاد والسير، والتفسير، وغيرها. وقد روى عنه عدة أحاديث، الكثير منها يتعلق بالسيرة النبوية، وتروي أحوال النبي ﷺ وصنيعه في عدد من القضايا المهمة مثل صلاته في الكعبة، وما صنع في التراويح، والمواضع التي نزل فيها، والغزوات التي خاضها مع المشركين، وما صنع مع اليهود، وغيرها، وفيها أحكام شرعية كثيرة، وآداب وتوجيهات تربوية.

ومن هذه الأحاديث ما رواه بسنده عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: "كيف تفعلون بمن زنى منكم؟" قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: "لا تجدون في التوراة الرجم؟ ..."[2] الحديث.

وروى بسنده أيضًا عن موسى بن عقبة، حدثني محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في غزوة بني المصطلق "أنهم أصابوا سبايا، فأرادوا أن يستمتعوا بهن، ولا يحملن، فسألوا النبي ﷺ عن العزل..."[3] الحديث. وهو حديث -كما ترى في الحاشية- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وترجمه بآية قرآنية من باب الإشارة إلى أن الحديث يفسر الآية، ويُظهر ذلك أن عددًا من أحاديث السيرة النبوية مخرجة في هذا الكتاب، وتفسر آيات من كتاب الله تعالى، وبعضها يلقي الضوء على أسباب النزول، وهو ما يعني ارتباط القرآن الكريم بالسيرة النبوية. كما يظهر علاقة الحديث بالعقيدة وهو موضوع مهم جدًا يحتاج إلى دراسة علمية.

ب- سليمان بن طرخان أبو المعتمر التيمي البصري (ت: 143هـ): روى عن أنس بن مالك، وأبي عثمان النهدي، وطاووس، وبكر بن عبد الله المزني، والحسن، وقتادة، وخلق، وكان مقدماً في العلم والعمل، حدث عنه: أبو إسحاق السبيعي،

---

(1)-تنظر ترجمته في: الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 1271هـ- 1952م، 154/8، وسير أعلام النبلاء، 114/6.

(2)-صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابا سورة آل عمران، باب ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران، 93]، رقم الحديث: 4280.

(3)-صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[الحشر، 24]، رقم الحديث: 6974.

وشعبة، وسفيان، وحماد بن سلمة، ويحيى القطان، وخلق سواهم من العلماء. قال علي ابن المديني: له نحو مائتي حديث، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والنسائي، والعجلي، وابن سعد، وغيرهم[1].

وأغلب روايات سليمان بن طرخان في صحيح البخاري هي من طريق ابنه معتمر بن سليمان[2]، وهو الذي روى عنه كتاب سيرة رسول الله ﷺ التي اطلع عليها ابن حجر[3].

وأذكر هنا بعض النماذج مما روى له؛ فقد روى عنه عددًا من الأحاديث في الصلاة والأذان، والقنوت، والبيوع، والصلح، والجهاد والسير، والمناقب، وفرض الخمس، والغزوات، وتفسير القرآن، وغيرها. ومن ذلك الحديث الذي رواه بسنده عن سليمان بن طرخان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلًا أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبي ﷺ، فأخبره، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود، 114]، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم"[4]، وهو حديث في السيرة النبوية في غير أبوابها، ويتعلق بأسباب النزول؛ قال عبد الرزاق هرماس: "ولما كان علم السيرة النبوية يدرس حياة الرسول مع ما تعلق بذلك من أمور نبوته، فقد كانت أحاديث أسباب النزول جزءاً من تاريخ الرسالة المحمدية.... ثم إن مما يؤيد هذه الأخبار أهمية أنها نقلت كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ، والأحوال التي تعرِض له عند ذلك، وهذا جانب يتصل بمسألة الاستدلال على صدق النبوة؛ كما تضمنت هذه الأخبار كيفية تلقي الصحابة رضي الله عنهم للوحي الذي يخبرهم به عليه الصلاة والسلام مما يدخل في موضوع علم السير"[5]. ولذلك فعدد من الأحاديث النبوية في كتاب التفسير وغيره تدخل في السيرة النبوية، وهذا ينبه الدارسين إلى ضرورة التعامل مع كتاب التفسير في صحيح البخاري وغيره لاستخراج ما يتعلق بالسيرة النبوية، وبيان مدى ارتباطها مع كتاب الله عز وجل.

ج- معمر بن راشد (ت: 154هـ): الإمام، الحافظ، حدث عن: قتادة، والزهري، وعمرو بن دينار، وهمام بن منبه، وأبي إسحاق السبيعي، وخلق غيرهم. وعنه عمرو بن دينار، وطائفة من شيوخه، وسعيد بن أبي عروبة، والسفيانان، وابن المبارك، وغيرهم. كان من أوعية العلم، مع الصدق، والتحري، والورع، والجلالة، وحسن

(1)-ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 195/6.

(2)-تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 477/8.

(3)-ينظر: فتح الباري، 497/7.

(4)-صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، رقم الحديث: 512.

(5)-مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، ص: 60.

التصنيف، وقد روى عنه عبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف الكثير من أحاديث السيرة النبوية وعنه رواها عدد من علماء الحديث[1].

روى عنه البخاري عدة أحاديث في صحيحه في بدء الوحي، والوضوء، والغسل، والصلاة، والأذان، والجمعة، والجنائز، والزكاة، والصوم، والبيوع، والإجارة، والمساقاة، والجهاد والسير، وغيرها، وهذا يوضح حجم ما رواه البخاري عن هذا العَلَم في السيرة النبوية وغيرها، وعن غيره من أعلام السيرة من علماء التابعين وأتباعهم.

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري بسنده عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس ﷺ، قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس..."[2].الحديث.

وتعود قيمة ما يرويه علماء الحديث من سيرة نبوية عن هؤلاء الأئمة من علماء السيرة النبوية إلى أن مؤلفاتهم فُقِد العديد منها، مثل: مغازي عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، وابن شهاب الزهري، ومعمر بن راشد، وغيرهم، فما اقتبسته المصادر اللاحقة منها يمكن أن يعطينا فكرة عنها، ويروي لنا مضمونها بالأسانيد الصحيحة، وخصوصًا ما رواه البخاري ومسلم ومالك –رحمة الله عليهم–، وما في السنن الأربعة وغيرها يحتاج في بعض منه إلى التحقق من صحته، قال عبد الرزاق هرماس: "على دارس السيرة أن يقدم مرويات كتب الحديث على مرويات كتب السيرة والمغازي و التواريخ؛ لأنها أصح، وقد خدمها العلماء عبر أزمنة مديدة، وفيها كثير مما يفي بحاجة الدارس إلى معرفة السيرة النبوية"[3]. ولا شك أن ما رواه البخاري في صحيحه من روايات السيرة يأتي على رأس روايات المحدثين لأصحيته وعلو شرطه.

ب– رواية مسلم ومالك عن علماء السيرة:

أ–: هشام بن عروة بن الزبير (ت: 146هـ): من علماء السيرة المشهورين، روى عن أبيه عروة بن الزبير كثيرًا، وعروة هذا اختص بحديث عائشة رضي الله عنها، وجمع حديثها قبل أن تموت بأربع أو خمس سنين، ولعل هشام ابنه روى عنه كتاب المغازي الذي نسبه العلماء إليه[4].

أخرج مسلم في صحيحه لهشام بن عروة أحاديث كثيرة جدًّا، من ذلك ما أخرجه في باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما من كتاب المناقب (ح: 2416)، وفي باب التواضع في اللباس من كتاب اللباس في وصف فراش النبي ﷺ

(1)–ترجمته في: الجرح والتعديل 256/8، وسير أعلام النبلاء، 5/7، وتذكرة الحفاظ: الذهبي؛ تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط: 1، 1419هـ- 1998م، 142/1.

(2)–صحيح البخاري: باب بدء الوحي، رقم الحديث: 6.

(3)–مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، ص: 89.

(4)–ينظر: سير أعلام النبلاء، 150/6، وفتح الباري، 333/5.

ووسادته (ح: 2082)، وكثير غير هذه، وكل هذه الأحاديث مروية في غير أبواب السيرة، وهي تغطي جانبًا مهمًا من حياة النبي ﷺ، وتفيد الدارس في جوانب أساسية، ومنها صورة حياة النبي ﷺ في الدنيا، وهو سيد البشرية، وغير ذلك.

وأخرج الإمام مالك عن هشام بن عروة عددًا من الأحاديث، منها حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ "أنه سئل كيف يأتيك الوحي"[1]. كما روى عنه بعض الآثار الموقوفة التي تبين سير الصحابة وعبادتهم وفقههم للدين[2].

ب- عامر بن شراحيل الشعبي (ت: 103هـ): روى عن جمع غفير من الصحابة، إذ أدرك منهم نحوًا من خمسمائة وكان طلاّبة للعلم، أَوْلى السيرة والمغازي قسطًا من اهتمامه تلقيًا وتعليمًا. قال عبد الملك بن عمير: مرّ عبد الله بن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي، فقال: كأن هذا كان شاهدًا مذعنًا، ولهو أحفظ لها مني وأعلم[3]. أخرج عنه مسلم حديثًا واحدًا في كتاب الفتن، قصة الجساسة التي روتها فاطمة بنت قيس، وفيها معاني طيبة تدخل في السيرة النبوية، ومنها إثبات مناقب تميم الداري ﷺ وغيرها. ولم يرو عنه مالك شيئًا.

ج- يزيد بن رومان (ت: 130هـ): وثقه غير واحد، كان عالِما، كثير الحديث، ثقة، أخرج له البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي. قال ابن عبدالبر: كان عالمًا بالمغازي، مغازي رسول الله ﷺ، وكان ثقةً. وصل عنه في الكتب قِسْطٌ لا بأس به من الروايات[4]. وهذا يعني أن عددًا من العلماء بالمغازي والسير رووا في السيرة وفي غيرها من الموضوعات الفقهية أحاديث نبوية بقيت مصدرًا لعدد من الأحكام والمعاني والتوجيهات التربوية.

أخرج الإمام مسلم ليزيد بن رومان أربعة أحاديث؛ منها حديثان في السيرة النبوية؛ أحدهما في صلاة الخوف من طريق الإمام مالك في باب صلاة الخوف من كتاب صلاة المسافرين وقصرها (ح: 842)، والثاني حديث عائشة رضي الله عنها "ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار" في كتاب الزهد والرقائق (ح: 2927).

وروى عنه الإمام مالك حديثًا مرفوعًا وثلاثة آثار موقوفة، والمرفوع هو في صلاة الخوف، وما صنع فيها النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع من كتاب صلاة الخوف (ح: 440).

---

(1)-الموطأ: كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، رقم الحديث: 475.

(2)-ينظر: الموطأ: كتاب القرآن، باب الوتر بعد الفجر، رقم الحديث: 279.

(3)-تنظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، 302/4.

(4)-تنظر ترجمته في: الجرح والتعديل، 260/9، والتمهيد، 31/23، وتهذيب الكمال، 123/32.

وهناك علماء ورواة رووا أحاديث مهمة في أحكام مختلفة، واشتهر بعضهم بالسير والمغازي روى عنهم الإمامان مسلم ومالك، منهم عبد الله بن أبي بكر بن عمرو ابن حزم[1]، وابن شهاب الزهري الذي أكثروا من الرواية عنه مما لا يحتاج إلى تمثيل، وغيرهم.

وأشير هنا إلى أن مسلمًا روى عن بعض من انتقدوا ولا يرتقي حديثهم إلى مرتبة الصحة، ومنهم يونس بن بكير الذي روى عنه حديثًا واحدًا لكن بالاشتراك مع غيره فقال: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا وكيع، ويونس بن بكير، قالا: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة –رضي الله عنها–، قالت: لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين قام رسول الله ﷺ على الصفا، فقال: "يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم"[2]. إلا أن الإمام مسلمًا روى له في الشواهد فقط وليس في الأصول، وقد روى له هنا بالاشتراك، وهو مختلف في توثيقه.

خلاصة واستنتاجات: من خلال ما عشته أثناء إنجاز هذا البحث؛ يمكن لي أن أثبت مجموعة من الاستنتاجات فيما يلي من نقاط:

– تعتبر السنة النبوية الوعاء الكبير الذي حوى أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته وصفاته الخَلْقية والخُلُقية، والسيرة النبوية جزء لا يتجزأ من هذا الوعاء. والمنهج النقدي لروايات السنة –والمسمى بمصطلح الحديث– هو المعتبر في تقييم روايات السيرة النبوية، وتمييز صحيحها من سقيمها، ما يجعل الثابت منها مصدراً من مصادر السيرة النبوية بعد كتاب الله تعالى.

– علماء الحديث هم أول من بدأ العمل بالمنهج السردي الذي يقوم على جمع النصوص المتصلة بالسيرة وسردها دون تحليل هذه النصوص أو فقهها، وفي ذلك إثبات المادة العلمية الأساسية للدارسين. وقد ابتدأ تدوين السيرة مع كبار المحدثين من طبقة التابعين وغيرهم ممن صنف في الحديث، فكانت مصنفاتهم حافلة بأخبار السير ووقائعها دون ترتيب تلك الوقائع زمنياً في كتب الحديث، على اختلاف بينهم في روايتها كمًّا وكيفًا مابين مقلٍ ومكثرٍ، ولذلك فكتب السنة رواية من مصادر السيرة النبوية المعتبرة، وفي مقدمتها الكتب الستة والموطأ حيث كاد يغطي بعضها هذه الكتب أحداث السيرة النبوية بالكامل، وهنا تكمن أهميتها، وقد دونت لنا بعض ما رواه علماء السير والمغازي من التابعين وأتباعهم، ممن فقدت كتبهم.

---

(1)–ينظر مثلًا: صحيح مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: 873، والموطأ: كتاب الاستسقاء، باب العمل في الاستسقاء، رقم الحديث: 448.

(2)–صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، رقم الحديث: 350، وتنظر ترجمة يونس بن بكير في: الجرح والتعديل، 236/9، وتهذيب التهذيب، 382/11.

–يعد ما أورده البخاري في صحيحه من أحداث السيرة النبوية، أغنى وأوفر وأضبط ما ورد في كتب السنة منها؛ فقد أفرد كتبًا وأبوابًا لسيرته ﷺ قبل مبعثه وبعده، وروى أحداثًا ضمن كتب صحيحه وأبوابه الأخرى، ساعد على ذلك أن من منهج البخاري تقطيع الحديث الواحد، وروايته في مواطن مختلفة تخدم الباب الفقهي الذي يضع تحته الحديث، ولذلك وجدت روايات للحديث الواحد في أبواب مختلفة تحمل عناوين أخرى. وقد أحسن إذ بدأ جامعه الصحيح بالحديث عن الوحي إذ هو الأساس في إثبات النبوة. وله تراجم وعناوين، عدد منها يتعلق بالسيرة.

– للبخاري منهج علمي جيد في ترتيب أبواب السيرة داخل الكتاب الواحد، وهو منهج أغلبي لا يكاد يطرد، وهو منهج علمي يعتمد اليوم في الأبحاث العلمية، لكن الترتيب المشار إليه هو داخل الكتاب الواحد، ولذلك فيعد ترتيبًا جزئيًا لا يؤدي الغرض من ترتيب أحداث السيرة النبوية زمنيًا.

– ترجع قيمة ما ورد في هذه الكتب إلى أن مادة السيرة فيها موثقة، رواها محدثون بمنهج اتسم بالضبط والتحري في نقل الوقائع المنسوبة إلى النبي ﷺ، ولذلك وجب الاعتماد عليها، وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة، وقد خدمها المحققون خدمة جليلة، وقاموا بتخريج أحاديثها والحكم عليها.

– خصص الإمام مسلم أبوابًا للسيرة النبوية، وإن كان دون شيخه البخاري، وروى فيها أحاديث ذات قيمة فقهية تربوية تعليمية دعوية تتضمن أحكامًا مهمةً للمسلم فيها توجيهات نبوية ربانية. وأهم ما يمكن أن يؤخذ من تلك الروايات في الصحيحين وغيرهما من دروس وعبر هو ما يتعلق بالبعد التربوي في هذه الأحاديث النبوية. وستبقى تفاصيل غزوات النبي ﷺ ولن تزال معدنًا صافيًا للكثير من الدروس والدراسات العلمية. كما نقلت أحاديث أسباب النزول جزءً من تاريخ الرسالة المحمدية، وبينت كيفية نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وهذا جانب يتصل بمسألة الاستدلال على صدق النبوة.

– اختلف الإمام مسلم عن شيخه البخاري بأنه لم يُقَطِّع الحديث الواحد في أبواب مختلفة؛ بل أخرج الأحاديث وطرقها وألفاظها المختلفة في موضع واحد، إلا أن هذا لم يمنع من رواية أحاديث تتعلق بالسيرة في أبواب أخرى في موضوعات أخرى. كما صنع الإمام مالك الأمر نفسه، ولذا يجب على الدارسين استثمار كل الأبواب في استخراج روايات السيرة النبوية.

– لموطأ مالك –رحمه الله–، مكانة رفيعة بين كتب الحديث، وهو يتميز بالجمع بين الحديث والفقه؛ فقد دون فيه الإمام مالك –رحمه الله تعالى– الأحاديث المرفوعة،

وهي في أعلى درجات الصحة، والموقوفات على الصحابة والتابعين، وأتباعهم؛ بل ودون فيه آراءه الفقهية، وعمل أهل المدينة، وبعض الفتاوى مما أعطاه قيمة علمية خاصة.

– موطأ مالك من أعلى كتب السنة إسنادًا، فيه أسانيد في أعلى درجات الصحة، إلا أن فيه أحاديث مرسلة، وأخرى منقطعة، وبلاغات يقول فيها مالك "بلغني"، وقد وصل أسانيدها ابن عبد البر، ولا يوجد في الموطأ حديث موضوع، وذلك لأن مالكاً كان شديد التحري في الرواية، ومرتبة الموطأ بعد الصحيحين وفوق السنن.

– لم يخلُ الموطأ من ذكر جملة من الأحاديث تتعلق بسيرة النبي ﷺ، وأوصافه، وأسمائه، والجهاد وفضله، لكنه مُقِل في تدوين ذلك. وهي كلها أبواب تربي المسلم وتفقهه في دينه لما فيها من أحكام، ومعاني، وفوائد تربوية، وهذا يوضح أهمية تدوين علماء الحديث وقائع السيرة النبوية في كتبهم.

ورغم أن الموطأ لا يحتوي على أبواب كثيرة ووقائع كثيرة، إلا أن مالكًا أغناه بالآثار الموقوفة والمقطوعة، والاجتهادات الفقهية، وفي موطئه أحاديث أصول في السيرة النبوية لا يستغنى عنها، وانفرد عن الصحيحين بزيادات في المتون تتعلق بالسيرة.

– بوّب الإمام مالك أبوابًا في السيرة، وروى بها بعض الأحاديث مما لا تظهر صلته بالسيرة، وبعضها ليس به إلا آثار موقوفة، ولعل ذلك راجع إلى مراعاة المناسبة بين الأحاديث، وقد لا يكون ذلك بالضرورة مما له صلة بالسيرة ما دام الغرض رواية ما رفع إلى النبي ﷺ، وصحت نسبته إليه، بوّب الإمام محمد بن الحسن الشيباني في الموطأ أبواباً خاصة بالسيرة تحت عنوان "أبواب السير وغيره"، وانفرد فيها بباب "فضائل أصحاب رسول الله ﷺ" عن يحيى بن يحيى الليثي.

– أخرج الأئمة الثلاثة لعدد من العلماء بالسير ومغازي رسول الله ﷺ، وأكثروا عن بعضهم رواية أحاديث نبوية غطت جانبًا مهمًا من حياة النبي ﷺ، وروى مسلم عن بعض من انتقد ولا يرتقي حديثه إلى مرتبة الصحة، إلا أنه روى له في الشواهد فقط، وربما بالاشتراك مع غيره.

– روى الشيخان بعض الأحاديث من طريق الإمام مالك نظرًا لأن مالكًا يتحرى في الرواية عن حملة الحديث، وفي موطئه أسانيد قيل فيها "أصح الأسانيد"، ولذلك اتحدت الرواية بين الأئمة مالك والبخاري ومسلم في بعض أحاديث السيرة. وبالنظر إلى تحري أئمة الحديث في الرواية، واعتمادهم الرواة الثقاة، فقد ثبت لرواياتهم في السيرة النبوية قيمة علمية كبيرة، ووجب تقديمها على روايات كتب السير والمغازي.

– روى الأئمة الثلاثة عن عدد من علماء السيرة عددًا مهمًا من الأحاديث سواء تعلقت بالأبواب الفقهية أم بأحداث السيرة النبوية. وتعود قيمة ما يرويه علماء الحديث عن هؤلاء العلماء إلى أن مؤلفاتهم فُقِد العديد منها، فما اقتبسته المصادر

اللاحقة منها يمكن أن يعطينا فكرة عنها، ويروي لنا مضمونها بالأسانيد الصحيحة، وعلى دارس السيرة أن يقدم مرويات كتب الحديث مثل صحيح البخاري على مرويات كتب السيرة والمغازي والتواريخ؛ لأنها أصح، وقد خدمها العلماء عبر أزمنة مديدة، وفيها كثير مما يفي بحاجة الدارس إلى معرفة السيرة النبوية. والمسلمون والدعاة مطالبون دائماً بتحمل مسؤولية الدعوة إلى الإسلام، ولا يسعهم إلا أن يحيطوا بتلك السيرة إحاطة دقيقة لاستيقاء المنهج والدرس، ولا يتم ذلك إلا بالاتصال بهذه الروايات في كتب الحديث التي روتها مسندة صحيحة، وأصحها ما في صحيح البخاري، ثم ما رواه مسلم، ثم ما أخرجه مالك في الموطأ.

والله تعالى أعلم، وهو الموفق للصواب.

المصادر والمراجع:

-التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري؛ تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر- بيروت، د.ت.

-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري؛ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط، 1387هـ.

-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي؛ تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، 1403هـ.

-الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 1، 1271هـ- 1952م.

-السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم- المدينة، ط: 6، 1415هـ- 1994م.

-السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: محمد بن محمد أبو شهبة، دار القلم- دمشق، 1409هـ-1988م.

-السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ط: 1، 1412هـ-1992م.

-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

-تذكرة الحفاظ: الذهبي؛ تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: 1، 1419هـ-1998م.

-تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الفكر – بيروت، ط: 1، 1404هـ – 1984م.

-توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: الأمير الصنعاني؛ تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: 1، 1417هـ-1997م.

-سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي؛ تح: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 3، 1405هـ-1985م.

-صحيح مسلم؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د. ت.
-صحيح البخاري؛ تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط: 3، 1407هـ-1987م.
-صحيح السيرة النبوية: إبراهيم العلي، دار النفائس-الأردن، ط: 1، 1415هـ-1995م.
-صحيح السيرة النبوية: محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن تيمية- القاهرة، ط: 1، 1410هـ.
-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
-فقه السيرة: د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر- بيروت، الطبعة السابعة، د.ت.
-قواعد التحديث: محمد جمال القاسمي، دار الكتب العلمية، د.ت.
-المسند: الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 2، 1420هـ- 1999م
-مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين: عبد الرزاق هرماس، بحث مقدم لنيل جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، الدورة الثالثة، ط: 1، 1428هـ- 2007م.
-مصادر السيرة النبوية وتقويمها: فاروق حمادة، دار القلم- دمشق، ط: 3، د. ت.
-مناهج التأليف في السيرة النبوية: محيي الدين ديب متو ومصطفى سعيد الخن، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت، ط: 1، 1420هـ- 2000م.
-مناهج المحدثين العامة والخاصة: علي نايف بقاعي، دار البشائر الإسلامية-بيروت، ط: 2، 1430هـ-2009م.
-منهج البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها: أبوبكر كافي، دار ابن حزم- بيروت، ط: 1، 1421هـ-2000م.
-المؤتمر العالمي الثالث للسنة والسيرة النبوية-الدوحة، محرم- 1400هـ، ط: 1، 1401هـ-1981م: بحث بعنوان: دراسة لكتب السيرة القديمة ومصادرها الأولى، ص: 367، وما بعدها.
-موطأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسن الشيباني؛ تحقيق: تقي الدين الندوي، دار القلم - دمشق، ط: 1، 1413هـ- 1991م.
-موطأ الإمام مالك، رواية يحيى الليثي؛ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر، د.ت.
-هدي الساري: ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الفكر-بيروت، 1421هـ-2000م.